

جمهورية العراق

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة ديالى

كلية التربية للعلوم الإنسانية

قسم اللغة العربية



# سليمان البكري ناقداً

رسالة مُقدّمة إلى

مجلس كلية التربية للعلوم الإنسانية / جامعة ديالى

وهي جزء من متطلبات نيل درجة الماجستير في اللغة العربية وآدابها

من الطالبة

رغد علي جاسم

بإشراف

الأستاذة الدكتورة

وسن عبد المنعم الزبيدي

٢٠٢١ م

١٤٤٢ هـ

# الفصل الأول / مداخل الناقد النظرية

## مدخل

ترعرع البكري في مرحلة ثقافية كان ههما الأول الأيديولوجيا السياسية، وانعكس هذا على فهمهم للأدب سواء كان شعراً أم نثراً، فكان ما يهمهم علاقته بحركة المجتمع ومقدار ما يصور منها وقدرته على تقديم حلول لمشكلاته، وكل هذا ينطوي تحت مذهب أدبي ساد في ذلك الوقت وهو ما عرف بالواقعية الاشتراكية<sup>(١)</sup>، الذي يجسد رؤية الماركسية ويتبنى المبادئ المادية الجدلية التي تتشكل عليها الشيوعية، ويذهب أنصارها إلى أن المعرفة لفكرية قائمة على النشاط الاقتصادي في نشأتها ونموها وتطورها، مما يعني توظيف ((الفنون الأدبية والفكرية في خدمة المجتمع وفق المفهومات الماركسية التي تقضي الاهتمام بالطبقات الدنيا ولاسيما طبقات العمال والفلاحين وتصوير الصراع الطبقي بينهم وبين الرأسماليين والطبقة الوسطى البرجوازيين، وتجعل الرأسمالية والبرجوازية مصدر الشرور في الحياة، ولذلك تسعى إلى فضحها وكشف عيوبها والانتصار للفلاحين والعمال والتبشير بغلبتهم عليهما))<sup>(٢)</sup>.

وليس البكري بعيداً عن هذا الأمر، فكتاباته النقدية تُبين مدى وعيه النقدي بالتحولات التي طرأت على الرواية العراقية، وهو وعي نابع من متابعاته للمنجز الروائي ليس على الصعيد المحلي فقط، بل على الصعيد العالمي أيضاً، ولم يكن يستقي تنظيراته/أقواله وقراءاته للنصوص من نظرة انطباعية قدر ارتكازه على ثقافة نقدية تمكنه من التعامل مع النصوص والتنظير لها بطريقة علمية في أغلب الأحيان، مع بعض الاستثناءات في بعض الآراء والأقوال، ويمكن تقسيم تنظيراته على توجّهين: الأول شكلي والآخر مضموني.

(١) ينظر: الأدب القصصي في العراق منذ الحرب العالمية الثانية واتجاهاته الفكرية وقيمه

النقدية، د. عبدالإله أحمد، ١٨٥، منشورات وزارة الإعلام، بغداد، ط١، ١٩٧٧م،

(٢) الحداثة في العالم العربي (دراسة عقديّة)، محمد عبد العزيز أحمد، أطروحة دكتوراه، جامعة

الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الرياض، ١٤١٤هـ، ٢/٦٠٧.

**المبحث الأول**

**في الرواية**

## أولاً - تنظيراته في الأداء / البناء الشكلي:

بدايةً، لابد من القول إن الشكل غير منفصل عن المضمون، فالعلاقة بينهما عضوية جدلية، فالشكل يتشكل ويظهر بدافع المضمون أو إن المضمون يفرض أو يتطلب شكلاً محدداً، ولكن الإجراء النقدي حتم علينا هذا الفصل بينهما، ويمكن تتبع أقوال البكري عبر الآتي:

### (١) المصطلح والمفهوم:

يذهب البكري في أكثر من مكان في تنظيراته النقدية في الرواية إلى أنه لا يمكن وضع تعريف محدد لها، والسبب يعود إلى أنه يراها ((جنساً أدبياً تسمية أو تعريفاً محدداً لأنه يتطور ويخلق قوانينه وإبداعاته المرحلية ويترك بصماته الخاصة في إبداعات العصور التاريخية منذ عرف الإنسان هذا الفن الملحمي))<sup>(١)</sup>، وهو ما ذهب إليه نقاد آخرون أيضاً، منطلقين من طبيعة تشكلها، أنها بنية منفتحة وليست منغلقة، ولكن على الرغم من ذلك فإنها - كما يقول عبد الملك مرتاض - تتجسد ((تحت شكل كتاب وأن من أسسها التي لا تبديل لها ولا تغير أنها ظاهرة لسرد حكاية متخيلة قابلة للتحوّل وقادرة على الاختلاف والتعبير إلى غير حدّ مفضية إلى تسلسل المجموعات أو إلى تتابع البنى الفنية، أي إلى مجموعات تكون عناصرها مرتبطة بعضها ببعض تشكل آخر المطاف عملاً أدبياً كلياً منسجماً))<sup>(٢)</sup>.

بينما أورد بعض النقاد مجموعة من التعريفات والتحديدات للرواية حسب نظرة كل واحد منهم، فهناك من عرفها بأنها ((فنّ نثري تخيلي طويل نسبياً بالقياس إلى فن القصة))<sup>(٣)</sup>، وهناك من عرفها بأنها ((جنس أدبيّ يشترك مع الأسطورة والحكاية في سرد أحداث معينة تمثل الواقع وتعكس مواقف إنسانية وتصورها العالم من لغة شاعرية، وتتخذ

(١) التجريب في القصة والرواية، ١٠١. وينظر: الرواية العراقية والحصار (أنساق السرد وخصوصية

المكان العراقي)، سليمان البكري، مجلة الأقاليم، عدد ٦، ٢٠٠١م.

(٢) في نظرية الرواية، عبد الملك مرتاض، ٢٧، عالم المعرفة، الكويت، ط ١، ١٩٩٠.

(٣) جماليات الرواية، علي نجيب ابراهيم، ٣٦، دار الحوار للنشر، ط ١، سوريا، ١٩٨٧م.

من اللغة النثرية تعبيراً لتصورات الشخصيات والزمان والمكان والحدث يكشف عن رؤية العالم<sup>(١)</sup>، وهناك من عرّفها أيضاً بأنها ((أوسع من القصة في أحداثها وشخصياتها عدا نها تشغل حيزاً أكبر وزمناً أطول، وتعدد مضامينها كما هي في القصة، فيكون منها الروايات العاطفية والفلسفية والنسقية والاجتماعية التاريخية))<sup>(٢)</sup>، وغيرها من التعريفات الأخرى<sup>(٣)</sup>؛ لتتوصل إلى القول بأن المصطلح شابه الكثير من مشكلات الفهم في التعريف حسب وجهة نظر كل ناقد وباحث، ففي نهاية الأمر وضع كل واحد منهم تعريفاً خاصاً به، وإذا كان البكري قد رفض وضع تعريف محدد للرواية، فهو راجع في رأينا لسببين:

الأول: إنه تأثر بآراء النقاد الحدائين، ومنهم (ميخائيل ياختين) في عدم تعريفه للرواية، فهو يرى (ياختين) أن تعريف الرواية لم يجد جواباً بعد؛ بسبب تطورها الدائم<sup>(٤)</sup>.

الثاني: انطلق في رؤيته ومفهومه للرواية في مرحلة التجريب، مرحلة الرواية الجديدة التي لا تكاد تستقر على شكل محدد، الأمر الذي صرح به الناقد نفسه بقوله: ((واضح هو أن الرواية كتبت وسوف تكتب وفق بنى مختلفة من التجريب الذي لا يستند إلى قانون، مما يجعل إيجاد تعريف لها أمر دقيق؛ لأن الحديث عن الرواية يعكس البنى الاجتماعية لشعب من الشعوب))<sup>(٥)</sup>، على العكس من الروايات الأولى - الريادية - التي التزمت شكلاً واحداً ذات خصائص معروفة مسبقاً، لهذا يخرجها من التجريب الروايات الأولى خلو من التجريب<sup>(٦)</sup>، ولكن الرواية تبقى جنساً أدبياً نثرياً له خصائصه الشكلية التي يتميز بها عن الأنواع السردية الأخرى وإن جرى تغيير وتحول عليها، من هنا فإن

(١) النقد العربي وأوهام رواد الحداثة، سمير سعيد حجازي، ٢٩٧، مؤسسة طيبة للطبع والنشر، القاهرة، ٢٠٠٥م.

(٢) القصة والرواية، عزيزة مريدن، ٢٠، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، ١٩٧١م.

(٣) معجم المصطلحات الأدبية، إبراهيم فتحي، ٨٢، المؤسسة العربية للناشرين، تونس، ١٩٨٦م.

(٤) ينظر: التجريب في القصة والرواية، ١٠١.

(٥) المصدر نفسه: ١٠١-١٠٢.

(٦) ينظر: المصدر نفسه: ١٠٥-١١٠، وينظر: الرواية في العراق ١٩٦٥-١٩٨٠ وتأثير الرواية

الأمريكية فيها، نجم عبد الله كاظم، ٢٦، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ١٩٨٧.

بعض الباحثين والنقاد لم يتوانَ عن ذكر مثل هذه الخصائص، وجعلها مميزات للرواية، ف(حميد لحداني) يقول - في معرض حديثه عن الرواية - ((إن أغلب النقاد في العالم العربي يرى في الرواية أنها لا تقل عدد صفحاتها عن ثمانين صفحة من القطع المتوسط في مسعى للتفريق بين الرواية والقصة القصيرة، إضافة إلى الفروق في المضمون))<sup>(١)</sup>، أي أن تشعب الأحداث وامتدادها، وتشعبها، وامتداد الفترة الزمنية فيها هي أبرز الخصائص الفنية التي تميز هذا الفن السردي عن غيره.

### مراحل الرواية العراقية ومسألة التجييل:

يختلف معنى كلمة(الجيل) في المعاجم عن وضعها الاصطلاحي، فقد جاء في الوسيط((الجيل: الأمة من الناس والجنس، فالترك جيل والروم جيل والقرن من الزمان، وتلت القرن يتعايش فيه الناس))<sup>(٢)</sup>، بينما ذهب أغلب النقاد والباحثين إلى قياس الجيل بـ(ثلاثين سنة)، وإذا نظرنا إلى النتاج الأدبي ومنه الروائي نجد أنه لا يكتسب خصائصه المميزة ما لم تتوفر له خصائص المرحلة نفسها (مرحلة الجيل)، فالجيل ينشأ في ظل توفر ظروف معينة تميزه من الجيل الآخر، وهو كما يقول الفيلسوف الألماني ديلتاي: ((يمثل مسافة زمنية تُقاس من داخل حيوات الأفراد وتنظم في طيات جديدة في شجرة الحياة، وهي تبلغ في المعتاد ثلاثين عاماً كما يعتبر الجيل من ناحية أخرى تسمية لعناصر الأفراد وتعايشهم في مرحلة معينة من أعمارهم))<sup>(٣)</sup>.

ينفي الناقد عن الرواية مصطلح الأجيال/ التجييل، خلافاً للأجناس الأدبية الأخرى كالقصة القصيرة والشعر، والسبب في ذلك - في رأيه - يعود إلى أن ((في الرواية ثمة زمن ومراحل لم تخضع للمصطلح المذكور بسبب الطبيعة والبنية الفنية والشكل والحدث والشخوص وإمكانية الصراع بهذه الركائز الفنية في السرد الروائي أبعدت الرواية عن

(١) ينظر: الرواية المغربية ورواية الواقع الاجتماعي (دراسة بنيوية تكوينية)، حميد الحداني، ٨٠، دار الثقافة، الرباط، المغرب، ١٩٨٥.

(٢) المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية، ١٥٠، مكتبة الشروق الدولية، ط٤، مصر، ٢٠٠٤.

(٣) نقلاً عن: مفهوم الأجيال الأدبية، د. صلاح فضل، صحيفة المصري اليوم، عدد (٢٤٠٥)، ١٣ يناير، ٢٠١١م.

مصطلح الأجيال، وظلّ فيها وإبداعها منفتحاً على فضاءات واسعة لأسماء جديدة ترفد النتاج الروائي العراقي<sup>(١)</sup>، مع نفيه لدخول الرواية ضمن تحديد جيلي قار، إلا أن هذا لا يمنع من تحديد سمات كل جيل من أجيال الرواية، لهذا نجده في موضع آخر يعود ويحددها بمراحل زمنية تخضع - في أكثرها - لأحداث سياسية يمكن معرفتها من خلال تقسيمه لها، فالمرحلة الأولى تمتد من بداية التأسيس ١٩٢٨ إلى نهاية الحرب العالمية الثانية، والمرحلة الثانية تبدأ بظهور الرواية - القصة في الخمسينيات، والمرحلة الثالثة مرحلة التحديث والتجريب في الستينيات متمثلة برواية (النخلة والجيران)، والمرحلة الرابعة تبدأ في الثمانينيات من القرن الماضي. أما المرحلة الخامسة فتتجسد في مرحلة التسعينيات والتي أطلقوا عليها رواية الحصار<sup>(٢)</sup>.

وإذا كانت المرحلة الثانية والثالثة يشوبها الإبهام في التحديد والتداخل الزمني مع الأحداث السياسية التي مرت بالعراق، فالمرحلة الأولى والرابعة والخامسة تكاد تخضع لمثل هذه الأحداث السياسية التي أثرت بشكل واضح في توجهاتها التعبيرية والبنائية<sup>(٣)</sup>.

فالواقع بكل تشكيلاته والعوامل المؤثرة فيه هي التي تكوّن بنية هذا الجيل بمعنى فكرة الجيل تترك أثرها في الفنون والآداب، ومنها الرواية، أما مسألة إطلاق تسمية (جيل) أو (مرحلة) فهي مسألة رأي راجعة للناقد، ومثلما اختلفت التسمية في الرواية اختلفت في الشعر<sup>(٤)</sup>.

---

(١) الرواية العراقية والحصار، (أنساق السرد وخصوصية المكان العراقي)، سليمان البكري، مجلة الأعلام، عدد ٦، ٢٠٠١م.

(٢) ينظر: التجريب في القصة والرواية: ١٠٣.

(٣) حتى المراحل الأولى للرواية العراقية الممتدة من عشرينات القرن الماضي الى الخمسينيات يشوبها نوع من التحول والتطور أشار اليه عدد من النقاد. ينظر: نشأة القصة وتطورها في العراق (١٩٠٨-١٩٣٩)، د. عبد الإله أحمد، ٧٧ و ٩٩، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ط٢، ١٩٨٦م. وينظر: الرواية في العراق، د. نجم عبد الله، ١٧-٢١.

(٤) ينظر: تجييل الكتابة الشعرية في العراق، سعيد حميد كاظم، ٣٤-٣٥، دار الشؤون الثقافية



## ١) التجريب في الرواية:

من القضايا الفنية التي نظر لها البكري، قضية التجريب، فقد أولاهما اهتماماً تنظيرياً وتطبيقياً في منجزه النقدي، ولعل اختياره لعنوان كتابه الصادر عن دار الشؤون الثقافية العراقية عام (٢٠٠٠) (التجريب في القصة والرواية) يدل على هذا، ويمكن معرفة التحولات التي طرأت على الرواية العربية في العراق في تنظيراته النقدية حول الرواية.

يتناول البكري مسألة التجريب في الرواية العراقية، وذلك بتتبع مفهوم المصطلح أولاً عبر إيراد عدد من التعريفات في محاولة منه لعرض وجهات النظر في هذا الشأن من جانب، والإقرار بإشكالية المصطلح من جانب آخر ليخلص إلى تعريف محدد يعبر فيه عن مفهومه للتجريب، وهو ((معارضة المنجز الفني المتحقق بحثاً عن رؤى جديدة وأسلوب جديد يبغى الكشف عن شكل فني وتقديمه بصيغة تتجاوز التعامل المألوف في الرواية نحو آفاق تستكشف من قبل))<sup>(١)</sup>.

والملاحظ على هذا التعريف أنه تلخيص للتعريفات التي أشار إليها واستند إلى معناه اللغوي، الذي يعني: ((الشيء الذي حاوله واختبره مرة بعد أخرى))<sup>(٢)</sup>، فالبكري إذ يربط النص الروائي الجيد بالتجريب، فهو من جانب آخر يربط بقاءه بالمتلقي، وعدم استساغته لمثل هذا النوع الروائي الجديد، الذي لم يألفه من قبل، وهو ملمح نقدي متطور لم يتطرق إليه في مقالاته وبحوثه الأولى عند حديثه عن التجديد وظهور الرواية الجديدة، بل اكتفى بتشخيص ملامح الجدة فيها، وهي خصائص اكتسبها العمل الروائي بفعل عوامل عديدة كانت الحداثة واحدة منها<sup>(٣)</sup>.

وإذا كان قد أوقف كتابه على التجريب، فهذا يثير سؤالاً مهماً مضمونه: كيف فهم الروائي العراقي التجريب؟ ومتى مارسه في العمل الإبداعي؟

العامية، بغداد، ط ١، ٢٠١٦م،

(١) التجريب في القصة والرواية: ١٠٢.

(٢) لسان العرب: ٢٦٢/١، مادة (جرب).

(٣) ينظر: الحداثة، مالكم براد بري وجيمس ماكفارلن، ترجمة: مؤيد حسن فوزي، ٢٨، دار المأمون

للترجمة والنشر، بغداد، ١٩٨٧م.

قبل الإجابة عن هذا السؤال لابد من القول: إن التجريب كان نتيجة تحولات معرفية فكرية اجتماعية انعكست على الساحة الأدبية والفنية ((فرافق ذلك التحول تغير في مضمون الكتابة وتشكيلاتها))<sup>(١)</sup>، ولم يظهر التغيير والتحول إلا مع ظهور حركة الحداثة، وما رافقها من تطور في مجالات العلوم وما انعكس على الفن والأدب، الأمر الذي يمكن تلمسه في التجربة والتجريب، فالتجربة ((في العلم كما هي في الأدب تتطلب تجربة حالة جديدة للأشياء لتعطي تفسيرات جديدة تقود العقل في اتجاهات وامكانات جديدة))<sup>(٢)</sup>، وإذا كان ((البحث العلمي مهتماً بحقائق خاصة فقط، فإن الفن التجريبي يهتم بالرؤى المحددة عن الحياة أقل من اهتمامه لطبيعة العالم الذي يقوم بتنويره))<sup>(٣)</sup>.

من خلال ما تقدم، نرى أن التجريب ظهر مع بداية الكتابة الجديدة والتحول في الرؤى، وغيرها من التحولات الفكرية والتوجهات التي أتت أكلها في ستينيات القرن الماضي، لهذا نرى الناقد يتتبع المراحل التي مرّت بها الرواية بحثاً عن التجريب فيها، وهو الجواب الذي نحاول التوصل إليه من خلال هذا البحث، فليس مسوغاً للناقد البحث عن التجريب في الروايات العراقية الأولى لسببين:

الأول: إن فن الرواية كان في طور التكوين والنشأة.

الثاني: إن مناهج الكتابة الحداثية - على الرغم من ظهورها في نهاية القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين<sup>(٤)</sup> - فأنها وصلت إلينا في منتصف القرن العشرين، أو أن تأثيراتها بدت ضعيفة في الرواية دون الأنواع الأدبية الأخرى كما ذهب إلى ذلك عدد من النقاد<sup>(٥)</sup>.

(١) غواية التجريب، دراسة في التجريب الشعري عند جيل السبعينيات في العراق، مناف جلال الموسوي، ١٢، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ط١، ٢٠١٢م.

(٢) المصدر نفسه، ١٤.

(٣) المصدر نفسه والصفحة نفسها.

(٤) ينظر: الحداثة، مالكم براديري وجيمس ماكفارلن، ١/٢٤٠٨.

(٥) ينظر: الرواية العربية ما بعد الحداثة، د. ماجدة هاتو هاشم، ٢٣، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ط١، ٢٠١٣م.

ليقر فيما بعد بأن ((الروايات الأولى تخلو من التجريب))<sup>(١)</sup>، فمثل هذه الروايات - كما يقول نجم عبد الله: ((لا تعكس وعياً ناضجاً تماماً بالفن الروائي))<sup>(٢)</sup>.

وعلى الرغم مما أشره البكري في التحول الذي بدأ يظهر على الرواية في خمسينيات القرن الماضي وظهور الرواية القصيرة وازدياد عدد الروائيين فإنه لم يؤشر هذا التحول البنيوي والمضموني الذي جرى عليها مكتفياً بالقول إن الروائي العراقي أفاد من المنجز الروائي المترجم، فقد ظهرت بعد ثورة ١٤ تموز ١٩٥٨ ((بعض الأعمال التي يمكن تسميتها بالرواية القصيرة تحت قراءات الروائي واطلاعه على التجارب الروائية المترجمة))<sup>(٣)</sup>.

أما المرحلة المهمة التي يتجسد فيها التجريب بشكل واضح فهي مرحلة الستينيات من القرن الماضي، فتبدأ عملية الإبداع في مجال الرواية في هذا العقد، و((يأتي العقد الستيني محملاً بروئى وأفكار جديدة وتحت ظروف سياسية واجتماعية بالغة التعقيد وُلدَ جيل جديد وأدرك خطورة دور الإبداع في أجناسه المختلفة (شعر، قصة، رواية، نقد، ...الخ) في تغيير البنية الاجتماعية والسياسية وتحقيق نقلة جديدة في الإبداع العراقي يتجاوز ما هو سائد إبان تلك المرحلة))<sup>(٤)</sup>.

إنَّ مرحلة الستينيات من القرن الماضي تُعدُّ النقطة الحقيقية في مجال الرواية، وهو ما يؤكد البكري بجعل (رواية النخلة والجيران) لـ(غائب طعمة فرمان) البداية الحقيقية للرواية العراقية، لوصول بنائها الفني درجة من النضج والاكتمال لم يعهده فن الرواية من قبل من خلال تعامله مع العناصر المشكلة له<sup>(٥)</sup>.

ويذهب إلى هذا عدد من النقاد الذين نظَّروا للرواية العراقية، لكن من جانب آخر نرى أن الذي وصلت إليه الرواية في العراق لم يكن متأثراً من فراغ، وإنما جاء نتيجة

(١) التجريب في القصة والرواية، ١٠٥.

(٢) الرواية في العراق ١٩٦٥-١٩٨٠ وتأثير الرواية الأمريكية فيها، ١٨.

(٣) التجريب في القصة والرواية: ١٠٨.

(٤) المصدر نفسه: ١١٠-١١١.

(٥) ينظر: المصدر نفسه: ١١٢، من هؤلاء: فاضل ثامر، وشجاع مسلم العاني، وغيرهما.

لإرهاصات امتدت لأكثر من عشرين سنة على أقل تقدير، وبدأت حركة التغيير تدبُّ في الساحة الأدبية منذ نهاية الحرب العالمية الثانية، وظهر حركة الحداثة التي أثّرت بكل مفاصل الأدب وإن كان في الشعر ظهر بشكل أوضح<sup>(١)</sup>.

يتتبع البكري هذا التجريب في المراحل اللاحقة ويرى أنه أخذ بالنتامي والاختلاف في كل مرحلة من مراحل الرواية العراقية، ليخلص إلى القول: ((إن أبرز من ساهم في التجريب الروائي العراقي في كشوفاته ورؤاه مبدعون من مختلف الأجيال والمراحل، أثّروا المسيرة الروائية بنتاج متميز اتّسم بالتجريب وتجاوز الخارطة الواقعية في الرواية العراقية شكلاً ومضموناً منذ التأسيس وحتى الستينيات من القرن الماضي))<sup>(٢)</sup>.

### ثانياً - تنظيراته ذات الرؤية المضمونية:

تناول الناقد في تنظيراته موضوعات عديدة، فتكلّم في معرض حديثه عن التحولات في الرواية العراقية كاتخاذ الروائيين الاتجاه الواقعي بمختلف توجهاته مذهباً تعبيرياً لمراحل عديدة ابتداءً من خمسينيات القرن الماضي وصولاً إلى نهاية القرن العشرين، وتأثر الروائيون بالمدارس العالمية وكتّابها المعروفين (الفرنسيين والانكليز والأمريكان).

إذا كانت مسائل الواقع وتعامل الروائي معها منطلقاً - عند البكري - لمتابعته التحولات الحاصلة في الرواية العراقية والتجريب المستمر فيها، فهناك موضوعات أولها أهمية من خلال أفراد مؤلف كامل لها، وهذه الموضوعات تمثل سمة موضوعية وفكرية امتازت بها الرواية العالمية ولا سيما الأمريكية، ومن هذه الموضوعات موضوع (الرفض والاحتجاج) التي تناول كتابه (أدب الرفض الأمريكي) الصادر عن دار الشؤون الثقافية العامة ١٩٩٦.

وقبل البدء بتتبع تنظيراته الناقد وأقواله في قضية الرفض، لابدّ من التأشير على وسائل مهمة في تناوله للرواية الأمريكية أو الأدب الأمريكي بصورة عامة.

(١) ينظر: البناء الفني في الرواية العربية في العراق، د. شجاع مسلم العاني، ٦٥/٢، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ط ١، ٢٠١٢م.

(٢) التجريب في القصة والرواية، ١١٨.

١. اتساع رقعة اهتمامات البكري في مجال النقد الأدبي، متجاوزاً الأدب العربي والعراقي إلى الأدب العالمي.

٢. تناوله لقضية الرفض والاحتجاج في الخطاب الروائي، يعني تأثيره بقضية مهمة في الرواية الجديدة، رواية ما بعد الحداثة التي كانت من اهتماماتها تفكيك ونقد السرديات الكبرى، مما يعني تطور رؤيته وأدواته النقدية في هذه المرحلة.

٣. يمكن أن تكمن وراء تناوله قضية الرفض في الخطاب الروائي الأمريكي أسباب عديدة ولا سيما وأن هذا المنجز صدر في عام ١٩٩٦، مرحلة الحصار على العراقي من قبل الولايات المتحدة الأمريكية، مما يعني - ربما - يكون وراءه أسباب سياسية / ثقافية في تعرية الخطاب السياسي، خطاب الإدارة الأمريكية، من خلال منجزها الثقافي نفسه على مرّ التاريخ، إذا ما عرفنا أنها تنادي بالحرية والديمقراطية والتعايش واحترام الشعوب كافة.

تتبع هذه القراءة من المعطيات التاريخية والمقاربات النقدية، والربط بينهما. وإذا عدنا إلى كتابه الواقع في جزأين يقتصر الجزء الأول على الرواية، فقد تتبع قضية الرفض والاحتجاج بأشكالها المختلفة في الروايات الأمريكية بعد الحرب العالمية الأولى وصولاً إلى مراحل متأخرة من القرن العشرين، يشير بدءاً إلى المذاهب الفكرية التي انتهجها الروائيون في التعبير عن هذه القضية وهي ثلاثة :

الأول: الاتجاه الطبيعي، والأعمال التي اعتمدهت كشفت ((ببراعة عن أعماق النفس الإنسانية والحياة الاجتماعية وعن الاستغلال البشع الذي تتعرض له، ونبهت رواياتهم إلى الظلم والقسوة التي يعاني منها المجتمع الأمريكي خاصة الطبقة الفقيرة من عمال المزارع والمصانع))<sup>(١)</sup>.

الثاني: الاتجاه الرمزي، والأعمال الروائية التي اعتمدهت في التعبير عالجت قضايا لها ارتباط بالناس البسطاء ((في أحلامهم وتطلعاتهم في لغة جديدة، وطرحت مشاكل القنوط الديني والجنسي في المجتمع الريفي بشكل خاص))<sup>(٢)</sup>.

الثالث: الاتجاه النفسي، وروايات هذا الاتجاه عالجت عقد الغزو الأمريكي وبحثه عن الرفاهية والوصول إلى مستوى معاشي أفضل في ظل هذا الواقع المزري الذي

(١) أدب الرفض الأمريكي: ٦.  
(٢) المصدر نفسه والصفحة نفسها.

يعيش فيه، ومن روايات هذا الاتجاه روايات (سكوت كي فيتسجيرالد) التي عالجت قضايا مجتمعية عديدة، وتركيز الكاتب على الغزو وعلاقته بالمجتمع ومسألة النفاق والمثالية<sup>(١)</sup>.

وإذا كان البكري في تناوله لهذه الرواية على امتداد الفترة الواقعة بين الحربين العالميتين قد شخّص الموضوعات الأساسية التي قامت من أجلها وهي (الرفض والاحتجاج) تجاه العنف الذي تمثل بأكثر من شكل كـ(الجشع، والاستغلال، والنفاق، والرأسمالية، والتمييز العنصري، والتباين الطبقي، والسياسات الأحادية وغيرها)، فإنه يرجع ذلك إلى التأثير الذي تمارسه الصهيونية واليهود في أمريكا<sup>(٢)</sup>، وهو من جانب ثالث يوضح أشكال الرفض التي قام بها أبطال هذه الروايات، تجاه العنف الذي يجتاح أمريكا بأشكاله المختلفة<sup>(٣)</sup>، فيقول: ((إن أعمال همنغواي تزخر بهذا النمط من الشخصيات))<sup>(٤)</sup>، ويعطي مثلاً على كل رواية من رواياته بتحليل مضمونها، والأمر نفسه مع الروائيين الآخرين الذين تجلّى موضوع الرفض لديهم كثيمة أساسية في أعمالهم الروائية كـ(جون دوس ياسوس) و(سنكلولوسي) في أعماله منها (بابيت) و(الشارع الرئيسي)، والروائي (شتاينبك) الذي تناول في رواياته مسألة ((الإشفاق والعطف على ضحايا الظلم الاجتماعي والمشردين والأقليات العنصرية المسلوقة الحقوق وتبقى روايته (عناقيد الغضب) الأكثر إثارة للسخط على الواقع الاجتماعي المأساوي الذي يعصف بحياة الفلاح الأمريكي))<sup>(٥)</sup>.

إن أعمال الروائيين الأمريكيين المتمثلة بالفترة الممتدة بعد الحرب العالمية الأولى وصولاً إلى فترة الخمسينيات وما بعدها تمثل توجهاً جديداً في التعامل مع المضامين والموضوعات، وقد خرجت نظرتهم للواقع عن توجهات الحداثة التي تؤمن بالتطور

(١) ينظر: أدب الرفض الأمريكي: ١٠.

(٢) ينظر: المصدر نفسه: ١٠.

(٣) ينظر: دراسات في الرواية الأمريكية المعاصرة، مجموعة من النقاد، ترجمة: عنيد ثنوان

رستم، ٥٣، دار المأمون، بغداد، ط١، ١٩٨٩م.

(٤) أدب الرفض الأمريكي: ٧.

(٥) المصدر نفسه: ١٢.

الاجتماعي<sup>(١)</sup>، وإنشاء واقع مثالي تسود فيه المساواة والعدل، كل هذه الطروحات لم تطبق، ونتج بعد ذلك الخراب جراء الحروب المتتالية والصراعات والاستغلال من قبل القوي المتمثل بالرأسمالية<sup>(٢)</sup>.

إن الرفض والاحتجاج هو صورة من صور تفكيك الخطاب المهيمن، خطاب السلطة، والسرديات الكبرى التي سيطرت على مدار العقود السابقة لتجعل من الإنسان الأبيض هو صاحب السيادة، تمثل هذا الإنسان في أصحاب رؤوس الأموال (الرأسمالية) في استغلال الطبقات الدنيا، والفلاحين والزنوج، وشعوب العالم الأخرى، وهكذا فإن رفض هذه الممارسات التي تقوم بها كل من الرأسمالية وأصحاب النفوذ هو تفكيك لهذا الخطاب وكشف زيف مقولات الغرب والدفاع عن حقوق المضطهدين والفقراء والفلاحين والزنوج، بعدما كان هناك مثل أعلى، شخصية البطل يفقدى بها في رواياتهم.

كل هذه التوجهات تمثل توافقاً مع توجهات ما بعد الحداثة التي كان من اهتماماتها تفكيك قراءة السرديات الكبرى وإعادة بنائها، والاهتمام بالمهمش والعادي، واللامركزي وغيرها<sup>(٣)</sup>، فتفكيك الخطاب المتجسد بمسألة الرفض تجاه ((سلوك الطبقة الاجتماعية المسيطرة وللخط السياسي الذي ينتهجه البيت الأبيض نتج عن ذلك روايات ذات قيمة كبيرة جسدت هجاءً لاذعاً لمجتمع الطبقة العليا))<sup>(٤)</sup>.

والسؤال الذي يمكن أن نطرحه هنا، هل وعى البكري هذه التحولات وربطها بالتحولات ما بعد الحداثيّة؟

كان البكري على وعي بهذه التحولات سواء بالشكل أو المضمون، من خلال تتبعه للتحولات التي حصلت في الرواية الأمريكية وما أفرزته من توجهات مختلفة، ولكنه لم يكن معنياً بموضوع تتبع التحولات الفكرية المتمثلة بالحداثة أو ما بعد الحداثة، وإن كان

(١) ينظر: الحداثة، مالكم برادبري وجيمس ماكفارلين: ٤٢/١.

(٢) ينظر: ما بعد الحداثة، سيمون مالباس، ترجمة: د. باسل المسالمة، ١٣٢ وما بعدها، دار التكوين للنشر، سوريا، ط١، ٢٠١٢م.

(٣) ينظر: مسارات النقد ومدارات ما بعد الحداثة في ترويض النص وتقويض الخطاب، حفناوي رشيد بعلي، ٢٤٠ وما بعدها، عمان، الأردن، ط١، ٢٠١١م.

(٤) أدب الرفض الأمريكي: ١١.

قد ذكر أهم المذاهب التي انتهجها الروائيون في تلك الفترة، مثل (الطبيعي، والرمزي، والنفسي)، والمسألة الأخرى في شأن حديثه عن التحولات ووعيه بها سواء أكانت في الحادثة أم في مرحلة ما بعد الحادثة، وعلى الرغم من صدور كتاب (أدب الرفض الأمريكي) في سنة ١٩٩٦، فإن مصطلح ما بعد الحادثة كان في طور النشوء والظهور في النقد العربي<sup>(١)</sup>.

من خلال ما تقدم يمكن القول إن البكري كان واعياً لهذه التحولات في المضامين وتأكيداً على موضوع الرفض والاحتجاج التي تعد توجهاً جديداً في الرواية، إلا أنه لم يربط هذه التوجهات بحركات فكرية.

يستمر البكري في تتبع هذه الروايات بالتحليل والقراءة مستخلصاً منها الفكرة الرئيسة والمتمثلة بالرفض والاحتجاج، (فاريل) قدّم ((صورة حياة للفقر الروحي والعنف الجسدي اللذين يعصفان بحياة الطبقة الفقيرة والمتوسطة في المدينة عبر مسلسل قصصه داني أوتيل))<sup>(٢)</sup>

كذلك الأمر مع الروائي (شتاينبك) الذي تناول في رواياته مسألة الإشفاق والعطف على ضحايا الظلم الاجتماعي من المتشردين والأقليات العنصرية المسلوقة الحقوق<sup>(٣)</sup>.

وبالانتقال إلى أعمال (فوكنر) فإن ما يميز هذه الأعمال أن أحداثها تقع في الجنوب الأمريكي، الذي عانى فيه الفرد ولا سيما الأسود من الاضطهاد والاستغلال والتحقير الشيء الكثير خاصة بعد انتهاء الحرب بين الشمال والجنوب، فروايات (فوكنر) تعبر عن الرفض لمثل هذه الأساليب التي اتبعتها سكان الجنوب تجاه الإنسان الأسود (الزنجي)<sup>(٤)</sup>.

هذه الروايات غيرت الغرب/الأمريكي وفضحت سياساته وألعيه، ولم تستثن أحداً سواء الرئيس أم نواب مجلس الشيوخ، وغيرهم من المسؤولين الذين يمثلون القوى المهيمنة

(١) ينظر: مشكلات الحادثة في النقد العربي، د. سمير سعيد، ٢٢٣ وما بعدها، الدار الثقافية للنشر،

القاهرة، ط١، ٢٠٠٢م.

(٢) أدب الرفض الأمريكي: ١٢.

(٣) ينظر: المصدر نفسه: ١٢.

(٤) ينظر: المصدر نفسه: ١٤.



على الواقع الأمريكي ليتشكل منها خطاب موازٍ يدافع عن حقوق الضعفاء من أفراد الشعب بأطيافه كافة.

### الرواية الزنجية:

من الموضوعات التي تناولها البكري الرواية الزنجية، وقبل الخوض في طبيعة هذه الرواية والمحور الذي تناوله، يمكن إيراد تعريف للزوجة، فقد ارتبطت ((كفكر وأدب وفن بالروح الزنجية الأفريقية، وهي تحاول قبول الآخر واستثمار تنوع ثقافته وتلاقحها مع ثقافة الأنا الزنجية، وذلك بتهجين الخاضع للرغبة والتطور، أي رغبة المفكر الزنجي))<sup>(١)</sup>.

يتشكل الرفض لدى الروائي الزنجي عبر أكثر من شكل من الأشكال التي يتعرض لها في حياته اليومية، فيأخذ ((مدياته الواسعة في سبر أغوار الخوف الجسدي والنفسي وموضوعات التطلعات نحو الحرية الشخصية ومحاولة تجاوز القساوة العامة للحياة الزنجية في أمريكا، ولعل الكابوس يكون في داخل النموذج نفسه كفرد أسود يحاصره البيض فما من بطل زنجي إلا ويدرك على نحو هام بأنه محتقر ومخيف العالم الأبيض أو نفسه أو أنه ضائع ومنبوذ))<sup>(٢)</sup>، وتتحقق هذه الأمور بصورة ذهنية لدى الروائي ولدى أبطاله ((فتنمو الكوابيس وسط الظلام والتفرقة العنصرية المرعبة))<sup>(٣)</sup>.

يبين البكري تجسد هذه التصورات في روايات عديدة لعل أهمها (أبناء العم توم) لـ(ريتشارد)، ورواية (في بلد آخر) لـ(جيمس بالدوين)، عبر تلخيصه لفكرة وموضوع الرواية، والتي ((يكشف فيها كابوس العلاقات في أحياء نيويورك البوهيمية<sup>(٤)</sup> بين البيض والسود

(١) الزوجة وتمثلتها في النص المسرحي الأمريكي، حميد عليّ حسون وآخرون، ١٥٨، مجلة جامعة بابل، المجلد (٢٦)، العدد ٣، ٢٠١٨م، وينظر: دليل الناقد الأدبي، د. ميجان الروبلي، د. سعد البازغي، ١٨٠، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء-المغرب، ط٣، ٢٠٠٢م.

(٢) أدب الرفض الأمريكي: ٢٠-٢١.

(٣) المصدر نفسه والصفحة نفسها.

(٤) معنى البوهيمية في الاصطلاح ((هي ممارسة نمط حياة غير متعارف عليه، بين مجموعة أشخاص لديهم ميول ورغبات مشتركة، دائماً نجدهم إما موسيقيين أو فنيين أو أدباء، وقد نجد البوهيمي متسكعاً أو متشرداً، حيث أطلق هذا اللفظ أول مرة في القرن التاسع عشر في المدن الأوروبية الكبرى، ثم ظهر في فرنسا في الحقبة نفسها، وهنا بدأ اللفظ يركز على الغجريين، حيث

بمن فيهم الرجال والنساء الأسوياء والشاذون، وتخرج بحصيلة مفادها إن كابوس الانحطاط الأخلاقي ينشر قلوبه بمساحة كبيرة ويجثم على أحياء نيويورك ويكتم أنفاس سكانها بفضل الديمقراطية التي يتكرم بها سادة البيت الأبيض<sup>(١)</sup>.

يتابع البكري عدداً من الروايات ووقوفه على مضمونها يجسد الكابوس الذي يعيشه الزوج في بلادهم، من ذلك رواية (أخبرني متى رحل القطار)، والأمثلة عديدة على الظلم الذي يتعرضون له في الولايات المتحدة الأمريكية، كما نجد في أعمال الروائي (برنارد مالامور)، يأتي المشهد الكابوسي الذي يحتج عليه ويرفضه الواقع الإنساني في رواياته، حيث التأكيد على ثيمة التعصب العنصري ضد السود في أمريكا، كما تطرحه روايته المهمة (النزلاء) والروائي من الأمريكان ذوي البشرة البيضاء يساند ويدعم قضايا الزوج<sup>(٢)</sup>.

وينتهي دراسته للرواية الزنجية بالقول: ((عبر هذا الخراب للإنسانية وللحياة الذي قدمته أمريكا لشعبها وللعالم كان الروائيون الأمريكيون يقيمون إبداعهم بالفرض والاحتجاج على فضائح الكوابيس في منظور انساني يسعى للخلاص وإيجاد المنفذ نحو عالم يتسع للجميع تظلمه الحرية بمعناها الحقيقي بعيداً عن الفهم الأمريكي البغيض لمعنى الحرية<sup>(٣)</sup>)).

ولعل التفاتته لمثل هذا الموضوع ذاته هي الخروج من بوتقة المحلية إلى العالمية والإنسانية، وكانت قراءاته لهذا النتاج التي اعتمدت في معظمها على دراسات سابقة أشار إلى بعضها ولم يشر إلى الأخرى قراءات تاريخية نقدية يتابع من خلالها موضوع التمييز العنصري والظلم الذي حلّ بالفرد الأمريكي الأسود، وهو بحث له مسوغات يبتغي الوصول إلى نتائج لكشف الصورة وتجليها، وأياً كان السبب وراء ذلك فهو تحول في الخطاب النقدي العراقي، قام على دراسته.

---

استخدم هذا اللفظ للتحقير، وبوهيميا هي منطقة من جمهورية التشيك))، المرسال، موقع

إلكتروني (<https://www.almrsl.com/post/583443>)

(١) أدب الرفض الأمريكي: ٢١.

(٢) ينظر: المصدر نفسه: ٢٢-٢٣.

(٣) المصدر نفسه: ٢٤.

من خلال هذا العرض النقدي لمعالجات البكري للرواية العراقية وغيرها، يمكن القول إنه وقف على الرواية وتحولاتها في العراق وأكد بقضية التجريب، في إشارة منه إلى بداية الإبداع الروائي الذي ابتدأ معه، وفي تناوله للرواية الأمريكية يختار ثيمة الرفض لأسباب لم يصرح بها، سواء أكانت تتعلق بموضوعها، و ما تشكّله من ملمح أسلوبى يطغى عليها، أم ان اختياره لها يرجع إلى أسباب خارجية عديدة.

في النهاية كان عرض البكري للموضوع والأمثلة يأتي بشكل سلس بلغة نقدية واضحة بعيدة عن التعقيد والغموض، ويتدرج في عرض المعلومة والخروج بخلاصات.

## **Abstract (English Version)**

Suleiman Al-Bikri's experience is one of the pioneering critical experiences that emerged early in the formation of the Iraqi critical process and its transformations, through which he followed up the Iraqi storytelling production for a quarter of a century. This experience, in addition to its multiplicity of approaches and critical instruments used in analysis, at the same time reveals to the reader the linear development of the Iraqi storytelling production of a single writer or a group of writers within these studies, which focused on searching for the transformations that accompanied the story, from the 1960s to the end of the previous century. Its diversity went along with the diversity of the stories in question, which refers to a reader following both literary and critical productions. Not only that, but, moreover, his critical experience extends to critical theorems in different fields of story, novel, drama and poetry. His critical experience gives a concept about the encyclopedic reader who comes from different sources of local and international cultures, and gives another concept about the organic intellectual who tries to convey a message through this product embodied in the development of awareness among individuals.